موسوعة المعصومين الاربعة عشر

الإمام علي عليه السلام

سيرته وحياته

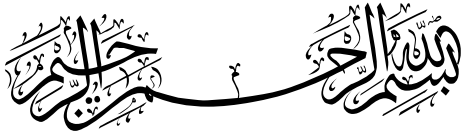

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾

سورة الأحزاب

موسوعة المعصومين الاربعة عشر عليهم السلام ٤ أ

الإمام علي عليه السلام
سيرته وحياته

تأليف

الدكتور علي عبيد البغدادي

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب: موسوعة المعصومين الأربعة عشر

الامام علي عليه السلام / سيرته وحياته

الطبعة: **الأولى**

سنة الطبع: **١٤٣٥ هـ - ٢٠١٣ م**

تأليف: **الدكتور علي عبيد البغدادي**

التصميم والإخراج الفني: **حيدر القريشي**

التصحيح اللغوي: **نوره الهيدان**

التنضيد الالكتروني: **حسين الغراوي**

عدد النسخ: **٥٠٠٠ نسخة**

بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام علي عليه السلام سيرة وتاريخ

مقدِّمة

الحمد لله رب العالمين.. والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين محمد وعترته الطيبين الطاهرين..

إن دراسة سيرة أهل البيت عليهم السلام تعدّ إحدى الركائز الأساسية في البناء العقائدي والفكري والسلوكي لديننا القويم، ذلك لأنهم عدل القرآن الكريم والامتداد الرسالي لمنهج النبوة، والحارس الأمين للقيم والمفاهيم الإسلامية في وجه التشويه والتحريف والضلال. إنها سيرة معصومة تكشف عن سلوك القدوة الحسنة بكل تجلياتها، وتربط المرء بالمفاهيم الإسلامية في أصالتها، وتفتح له آفاقاً جديدة في مجالات العلم والعمل والفكر والتربية والسلوك.

ومن هنا فإن الكتابة عنها لا تنتهي، مهما تعددت الدراسات وتنوعت أساليبها، ذلك مما يجده الباحثون من حالة التواصل مع دلالاتها التي تتسع بسعة الحياة وتستغرق كل مفرداتها، وتسير بها باتجاه حركة التكامل المطلوب على صعيد الفرد والأُمّة.

وعلى هذه الصفحات نسير في رحلة جميلة مع سيرة وصي النبي وابن عمه وباب مدينة علمه، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، منذ مولده الشريف في الكعبة المعظمة، حتى لقي الله مخضباً بدمه في محراب العبادة بمسجد الكوفة، شهيداً وشاهداً على الأُمّة بعد سنواتٍ من المحنة والجهاد.

إن سيرته عليه السلام صفحة خالدة من صفحات المجد والسمو، نقرأ فيها عالم المثل العادلة ومبادئ العظمة والاستقامة والخصائص الفريدة، نقرأ سيرة رجل عاش لله، وليس فيه شيء لغيره، يغضب لغضبه، ويرضى لرضاه، ويحب فيه، ويبغض فيه.

أعظم الناس جهاداً في سبيله وأكثرهم معرفة بشريعته وعملاً باحكامها وإحياءً لمعالمها.. فجاءت سيرته تجسيداً لرسالة الإسلام، بل كانت إسلاماً يتحرك على الأرض.. انه الكتاب الناطق والسنة الحية.

لقد كان علي عليه السلام قمةً في كلّ شيء، ينحدر عنه السيل، ولا يرقى إليه الطير، استغنى عن الكل، واحتاج الكل إليه، لكنه عاش في مجتمعٍ عزّ وجود من يفهمه فيه، فكان يقودهم إلى مبادئ الحق ومعارج الكمال، وكانوا يريدونه لدنياهم وشهواتهم ولذاتهم، قال عليه السلام: (ليس أمري وأمركم واحداً، انني أُريدكم لله، وتريدونني لأنفسكم) وكان يتفجّر علماً لم يجد له حملة، قال عليه السلام: (إن ها هنا لعلماً جماً لو أصبت له حملة).

ورغم هذا وذاك، فقد أضحى عليٌّ عليه السلام مناراً أبدياً وراية خالدة ترفعها البشرية على اختلاف ألوانها وأديانها، لأنه إمام الإنسانية الذي يقول: (الناس صنفان: أخ لك في الدين، ونظير لك في الخلق).

إن مسؤولية الانتماء إلى علي عليه السلام تدعونا إلى الاجتهاد في طاعة الله والتواصل على خط العفة والورع والسداد، والاقتداء ببعض جوانب سيرته، ذلك لأن تجسيد شخصيته الموسوعية الهائلة بكل أبعادها أمرٌ دونه خرط القتاد، فهو القائل عليه السلام: (ألا وان لكل مأموم إماماً، يقتدي به، ويستضيء بنور علمه،

ألا وان امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طُعمه بقرصيه، ألا وأنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد).

ومن هنا فإن اصدارنا هذا تكفل بتغطية بعض مفردات تلك السيرة العطرة، باسلوب واضح يتبع المنهج العلمي الدقيق، موثقاً بالمصادر المعتبرة عند الفريقين.

لا يخفى على قارئ ما يعانيه كاتب وهو يحاول الاقتراب من مقامٍ عليٍّ، كَمَقام عليّ.. ذلك المقام الذي طالما أدهش العقول، وأذهل البصائر، وحيّر الألباب.. فليس لأحد بعد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من مقام يشبه مقام رجل اقترنت حياته كلها بحياة ذلك النبي العظيم، منذ ولادته وعلى امتداد أيام نشأته، ومنذ فجر الإسلام ومبعث النبي وعلى امتداد ايام دعوته وفصول جهاده وحتى لحظاته الأخيرة بل حتى توديع جثمانه الطاهر، بل بعد ذلك إلى يوم الدين إذ به قد امتد نسل النبي من ابنته الوحيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، بل حتى في يوم الدين وبعده في مقام الخلود تقترن الشخصيتان في أعظم مقام عند الله تعالى، فلواء الحمد لخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وحامله علي، وحوض الكوثر تحفة الله لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والساقي عليه عليّ، والمقام المحمود في الجنان لسيد الخلق محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وصاحبه فيه عليّ.. فمهما أفاض القلم بالمداد، ومهما أبدع الكاتب وأجاد، فإن الذي بينه وبين حقيقة مقام علي عليه السلام مسافات شاسعة ودنيا واسعة.. ويبقى جهد المقل في صفحات معدودات أن يستعيد العناوين الرئيسية التي تستوعبها الكتابات التقليدية عن رجل له هذا المقام الكبير.

هو أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وقائد الغر المحجلين، وخاتم الوصيين، وأول القوم إيمانا، وأوفاهم بعهد الله، وأعظمهم مزية، وأقومهم بأمر الله، وأعلمهم بالقضية، وراية الهدى، ومنار الإيمان، وباب الحكمة، والممسوس في ذات

الله، خليفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، الهاشمي، وليد الكعبة المشرفة، ومطهرها من كل صنم ووثن، الشهيد في البيت الإلهي (مسجد الكوفة) في محرابه حال الصلاة سنة ٤٠ هـ. وكل جملة من هذه الجمل، وعبارة من هذه العبارات، كلمة قدسية نبوية أخرجها الحفاظ من أهل السنة[١].

ميلاده ونشأته:

هو الامام علي بن أبي طالب بن عبد المطلب (واسمه شيبة) بن هاشم (واسمه عمرو) بن عبد مناف (واسمه المغيرة) بن قصي (واسمه زيد) ولد بمكة يوم الجمعة الثالث عشر من رجب بعد ثلاثين عاما من عام الفيل، أي الموافق ١٧ مارس ٥٩٩ م أو ٦٠٠ وفقا للموسوعة البريطانية وتقول مصادر أخرى ٢٣ أكتوبر ٥٩٨ م أو ٦٠٠ م.

ولد داخل الكعبة، وهو المولود الوحيد داخلها وفقا لروايات متواترة تقول أن موضع بأحد جدران الكعبة يسمى المستجار قبل الركن اليماني قد انشق لفاطمة بنت أسد حين ضربها الطلق فدخلت الكعبة وولدت علي[٢]. وذكر ذلك في كتب الفريقيين منها المستدرك للحاكم جاء فيه: (تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه في جوف الكعبة)[٣]، وتضيف هذه المصادر أنه عندما وصل خبر دخول فاطمة بنت أسد الكعبة، إلى أبي

---

١ مسند أحمد ٣٣١/١ و١٨٢/٥ – ١٨٩، حلية الأولياء ٦٢/١–٦٨.

٢ ارشاد المفيد ٥/١، العمدة ٢٤، كشف الغمة ٥/١.

٣ المستدرك على الصحيحين للحاكم ٨٤٣/٣، اعلام الورى ٣٠٦/١.

طالب أقبل هو وجماعة وحاولوا فتح باب الكعبة، حتى تصل النساء إلى فاطمة ليساعدنها على أمر الولادة، ولكنهم لم يستطيعوا فتح الباب[١].

وتذكر بعض المصادر أن فاطمة أرادت أن تسميه أسدا أو حيدرة تيمنا بأبيها، بينما أراد أبو طالب أن يسميه زيدا، لكن رسول الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم سماه عليا[٢]، وفي مصادر أخرى أن أمه جاءها هاتف يأمرها بتسميته علي[٣]، وروي أيضا أن والده وجد لوحا مكتوب عليه أبياتا من الشعر في مدح ابنه وتسميه علي[٤].

جدُّه وأبوه:

جدّه عبدالمطَّلب، الملقَّب بشيبة الحمد؛ لشيبة كانت في رأسه[٥]، وقيل: (اسمه شيبة)[٦]، وكنيته أبو البطحاء، لأنَّهم استسقوا به سقياً فكنَّوه به[٧].. وقد بلغ من الشرف في قومه ما لم يبلغه أحد من قبل.

وكان عبدالمطَّلب جدُّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكفله، وعبدالمطَّلب يومئذٍ سيِّد قريش غير مدافَع، قد أعطاه الله من الشرف ما لم يعطِ أحداً، وسقاه زمزم وذا

---

١ الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي/٣٠.

٢ كفاية الطالب للشنقيطي/٣٧.

٣ مطالب السؤول/٢٧ مخطوط).

٤ الإرشاد الشيخ المفيد

٥ تذكرة الخواص/١٤.

٦ البداية والنهاية ٢٢٣/٧.

٧ انظر تفاصيل ذكرها في تذكرة الخواص/١٤.

الهُدُم، وحكَّمته قريش في أموالها، وأطعم في الُمحل حتى أطعم الطير والوحوش في الجبال.

قال أبو طالب:

ونُطعمُ حتى تأكُلَ الطيرُ فضلَنا إذا جَعَلَتْ أيدي الُمفيضينَ تَرْعَدُ

وكان على ملَّة إبراهيم الخليل؛ فرفض عبادة الأصنام ووحَّد الله عزَّوجلَّ، وسنَّ سنناً نزل القرآن بأكثرها، وجاءت السُنَّة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بها وهي: الوفاء بالنذور، ومائة من الإبل في الديّة، والا تنكح ذات محرم، ولاتؤتى البيوت من ظهورها، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل الموؤدة، والمباهلة، وتحريم الخمر، وتحريم الزنا، والحدُّ عليه، والقرعة، والا يطوف أحدٌ بالبيت عرياناً، وإضافة الضيف، والا ينفقوا إذا حجَّوا الا من طيِّب أموالهم، وتعظيم الأشهر الحُرم، ونفي ذوات الرايات[1].

هكذا كان مجاهراً بدينه، داعياً إلى الخلق الكريم والمبادئ السامية التي جاءت بها الاديان، وكان له في هذه الخصال دور لا يشاركه فيه أحد، حتى أنَّ قريشاً كانت تسميه إبراهيم الثاني.

وكان يفرش له بفناء الكعبة والناس من حوله يهابونه، فلا يقرب فراشه أحد، الا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد كان يتخطَّى رقاب عمومته، ويجلس على فراش جدِّه، ولما حاولوا منعه قال لهم: دعوا ابني، إنَّ لابني هذا شأناً..

وتوفِّي عبدالمطَّلب ولرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثماني سنين، وكانت قد أتت على عبدالمطَّلب مائة وعشرون سنة، وقيل: مائة وأربعون سنة[2].

---

١ تاريخ اليعقوبي٢/١٠ - ١١ دار صادر.

٢ المصدر نفسه ١٣/٢.

وعن أمِّ أيمن قالت: أنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمشي تحت سريره وهو يبكي[١].

وأعظمت قريش موته، وغُسل بالماء والسدر ودُفن بالحجون، وقيل: إنَّه حُمل على أيدي الرجال عدَّة أيَّام إعظاماً وإكراماً وإكباراً لتغييبه في التراب.

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال: (إنَّ الله يبعث جدِّي عبدالمطَّلب أُمَّة واحدة في هيئة الأنبياء وزيِّ الملوك)[٢].

وورث أبو طالب ـ والد عليٍّ أمير المؤمنين عليه السلام ـ زعامة أبيه عبدالمطَّلب، وكفالته رسول الله، فكان خير كافل ومعين، وقد كان كأبيه سيِّداً شريفاً مهيباً.

قال عليُّ بن أبي طالب عليه السلام: (أبي ساد فقيراً، وما ساد فقيرٌ قبله)[٣]، وخرج برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بُصرى من أرض الشام وهو ابن تسع سنين، وقال: (والله لا أكِلك إلى غيري)[٤].

وتولَّى العناية برسول الله والقيام بشؤونه من سنة ثمان من مولده الشريف، وحتى العاشرة من النبوَّة، وذلك اثنان وأربعون سنة، وظل يدافع عن النبي ورسالته حتى آخر نفس من حياته، وقد انعكست هذه الحقيقة وتجلَّى موقفه هذا في كثير من أشعاره، منها قوله:

ليعلـــم خيـــار النـــاس أنَّ محمـــداً نـبيٌّ كموسـى والمسـيح ابـن مـريم

---

١ انظر تذكرة الخواص/١٨.

٢ تاريخ اليعقوبي ٢/١٤.

٣ المصدر نفسه.

٤ أنظر تاريخ اليعقوبي ٢/١٤.

وقوله:

ألم تعلمـــوا أنَّـا وجدنـــا محمـدا رسولاً كموسى خطَّ في أوَّل الكتبِ

وقوله في لاميَّته الشهيرة:

لقـد علمـــوا أنَّ ابننـا لا مكـذَّبٌ لـدينا ولا يُعنَـى بقـولِ الأباطـلِ

فأصبـــح فينـا أحمـد في أُرومـة تُقصِّـــر عنـــه سَـــورَة المتطـــاولِ

حَـدِبْتُ بنفســـي دونـــه وحميتُـــه ودافعـت عنـه بالـذُّرا والكلاكـلِ

فأيَّـــده ربُّ العبـــاد بنصـــره وأظهـرَ ديناً حَقُّـهُ غـيرُ باطـلِ[1]

وتوفِّي أبو طالب بعد وفاة خديجة بثلاثة أيَّام ـ أي قبل هجرة الرسول من مكَّة إلى المدينة بثلاث سنين ـ في شوال أو في ذي القعدة، وله ست وثمانون سنة، وقيل بل تسعون[2]، وسمَّى النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم هذا العام بعام الحزن، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (ما نالت قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب)[3].

ولَّما قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنَّ أبا طالب قد مات، عظُم ذلك في قلبه، واشتدَّ له جزعه، ثُمَّ دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرَّات، وجبينه الأيسر ثلاث مرَّات، ثُمَّ قال: (يا عم ربيّت صغيراً، وكفلت يتيماً، ونصرت كبيراً، فجزاك الله عنِّي خيراً) ومشى بين يدي سريره وجعل يعرضه ويقول: (وصلتك رحم وجُزيتَ خيراً)، وقال: (اجتمعت على هذه الأُمَّة في هذه الأيَّام مصيبتان لا أدري بأيِّهما أنا أشدُّ جزعاً) يعني: مصيبة خديجة وأبي طالب رضي الله عنهما[4].

---

١ السيرة النبوية/ابن هشام ٢٢٩/١ ـ ٢٣٥، دار الفكر، ١٤١٥هـ.

٢ تاريخ اليعقوبي ٣٥/٢.

٣ البداية والنهاية ١٣/٣.

٤ تاريخ اليعقوبي ٣٥/٢.

وسُئل الإمام السجَّاد عليه السلام عن إيمان أبي طالب، فقال: (واعجباً، إنَّ الله نهى رسوله أن يقرَّ مسلمة على نكاح كافر؛ وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الإسلام، ولم تزل تحت أبي طالب حتَّى مات)[١].

وهو من أوضح البراهين على إيمان أبي طالب رضي الله عنه.

أُمُّه:

فهي فاطمة بنت أسد بن هاشم ـ جدُّ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بن عبد مناف بن قصي الهاشمية القرشية، وأُمُّها فاطمة بنت قيس بن هرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن بغيض بن عامر بن لؤي[٢] بنت عم أبي طالب.

وقال أهل السير: (هي أول هاشمية تزوّجت هاشمياً وولدت خليفة هاشمياً)[٣] وهي من سابقات المؤمنات إلى الإيمان، وكانت قبل ذلك على ملَّة إبراهيم الخليل عليه السلام، هاجرت مع رسول الله في جملة المهاجرين إلى المدينة المنوَّرة ـ على ساكنها السلام ـ ماشية، حافية، وهي أوَّل امرأةٍ بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكَّة بعد خديجة زوج الرسول..

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعاملها كما يعامل ابنٌ برَ أمَّه حتى يوم وفاتها. حيث توفِّيت في المدينة المنوَّرة سنة أربع من الهجرة، وأنَّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: (اليوم ماتت

---

١ الصحيح من سيرة النبيِّ الأعظم ٣/٢٣٨.

٢ الطبقات الكبرى لابن سعد ٨/١٧٨.

٣ تذكرة الخواص/١٠.

أمِّي)[١]، وشهد جنازتها فصلَّى عليها وكفَّنها قميصه ليدرأ عنها هوامَّ القبر، ونزل في قبرها لتأمن ضغطته[٢].

وروي أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (يُحشر الناس يوم القيامة عراة) فقالت: واسوأتاه، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (فإنِّي أسأل الله أن يبعثك كاسية)[٣].

وسمعته يذكر عذاب القبر فقالت: واضعفاه، فقال: (إنِّي أسأل الله أن يكفيك ذلك)[٤]..

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل ذلك يزورها ويقيل عندها في بيتها، وقال ابن عبَّاس: (وفيها نزلت ﴿**يا أيُّها النبيُّ إذا جاءك المؤمنات يبايعنك**...﴾ وإنَّها كانت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة الام، تفضله على أبنائها وتغدقه من حنانها وكان شاكراً لبرِّها.. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (إنَّها كانت أمِّي، إنها كانت لتجيع صبيانها وتُشبعني، وتشعثهم وتدهنني، وكانت أمِّي)[٥].

مكونات الشخصية الإنسانية

تعود شخصية كل إنسان – حسب ما يرى علماء الاجتماع – إلى ثلاثة عوامل هامة لكل منها نصيب وافر في تكوين الشخصية وأثر عميق في بناء كيانها.

---

١ تاريخ اليعقوبي ١٤/٢.

٢ المصدر نفسه.

٣ تذكرة الخواص/١٠.

٤ المصدر نفسه، والحاكم النيسابوري١٠٨/٣.

٥ الحاكم النيسابوري١٠٨/٣.

وكأن الشخصية الإنسانية لدى كل إنسان أشبه بمثلث يتألف من اتصال هذه الأضلاع الثلاثة بعضها ببعض، وهذه العوامل الثلاثة هي:

١. الوراثة.

٢. التعليم والثقافة.

٣. البيئة والمحيط.

إن كل ما يتصف به المرء من صفات حسنة أو قبيحة، عالية أو وضيعة تنتقل إلى الإنسان عبر هذه القنوات الثلاث، وتنمو فيه من خلال هذه الطرق.

وإن الأبناء لا يرثون منا المال والثروة والأوصاف الظاهرية فقط كملامح الوجه ولون العيون وكيفيات الجسم، بل يرثون كل ما يتمتع به الآباء من خصائص روحية وصفات أخلاقية عن طريق الوراثة كذلك. فالأبوان – بانفصال جزئي الحويمن والبويضة المكونين للطفل منهما – إنما ينقلان – في الحقيقة – صفاتهما ملخصة إلى الخلية الأولى المكونة من ذينك الجزأين، تلك الخلية الجنينية التي تنمو مع ما تحمل من الصفات والخصوصيات الموروثة.

ويشكل تأثير الثقافة والمحيط، الضلعين الآخرين في مثلث الشخصية الإنسانية، فإن لهذين الأمرين أثرا مهما وعميقا في تنمية السجايا الرفيعة المودعة في باطن كل إنسان بصورة فطرية جبلية أو الموجودة في كيانه بسبب الوراثة من الأبوين.

فإن في مقدور كل معلم أن يرسم مصير الطفل ومستقبله من خلال ما يلقي إليه من تعليمات وتوصيات وما يعطيه من سيرة وسلوك ومن آراء وأفكار، فكم من بيئة حولت أفرادا صالحين إلى فاسدين، أو فاسدين إلى صالحين.

وإن تأثير هذين العاملين المهمين من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى المزيد من البيان والتوضيح. على أننا يجب أن لا ننسى دور إرادة الإنسان نفسه وراء هذه العوامل الثلاثة. مكونات شخصية الإمام علي عليه السلام لم يكن الإمام علي عليه السلام بصفته بشرا بمستثنى من هذه القاعدة، فقد ورث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام جانبا كبيرا من شخصيته النفسية والروحية والأخلاقية من هذه العوامل والطرق الثلاثة، وإليك تفصيل ذلك

١. الإمام علي (عليه السلام) والوراثة من الأبوين

لقد انحدر الإمام علي عليه السلام من صلب والد عظيم الشأن، رفيع الشخصية هو أبو طالب، ولقد كان أبو طالب زعيم مكة، وسيد البطحاء، ورئيس بني هاشم، وهو إلى جانب ذلك، كان معروفا بالسماحة والبذل والجود والعطاء والعطف والمحبة والفداء والتضحية في سبيل الهدف المقدس، والعقيدة التوحيدية المباركة.

فهو الذي تكفل رسول الله منذ توفي جده وكفيله الأول عبد المطلب وهو آنذاك في الثامنة من عمره، وتولى العناية به والقيام بشؤونه، وحفظه وحراسته في السفر والحضر، بإخلاص كبير واندفاع وحرص لا نظير لهما، بل وبقي يدافع عن رسالة التوحيد، والدين الحق الذي جاء به النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ويقوم في سبيل إرساء قواعده ونشر تعاليمه بكل تضحية وفداء، ويتحمل لتحقيق هذه الأهداف العليا كل تعب ونصب وعناء.

وقد انعكست هذه الحقيقة وتجلى موقفه هذا في كثير من أشعاره وأبياته المجموعة في ديوانه بصورة كاملة كما ذكرنا.

إن من المستحيل أن تصدر أمثال هذه التضحيات التي كان أبرزها محاصرة بني هاشم جميعا في الشعب، ومقاطعتهم القاسية، من دافع غير الإيمان العميق بالهدف والشغف الكبير بالمعنوية، الذي كان يتصف به أبو طالب، إذ لا تستطيع مجرد الوشائج العشائرية، وروابط القربى، أن توجد في الإنسان مثل هذه الروح التضحوية.

إن الدلائل على إيمان أبي طالب بدين ابن أخيه تبلغ من الوفرة والكثرة بحيث استقطبت اهتمام كل المحققين المنصفين والمحايدين، ولكن بعض المتعصبين توقف في إيمان تلك الشخصية المتفانية العظيمة، بالدعوة المحمدية، بينما تجاوز فريق هذا الحد إلى ما هو أبعد من ذلك، حيث قالوا بأنه مات غير مؤمن. ولو صحت عشر هذه الدلائل الدالة على إيمان أبي طالب الثابتة في كتب التاريخ والحديث في حق رجل آخر لما شك أحد في إيمانه فضلا عن إسلامه، ولكن لا يعلم الإنسان لماذا لا تستطيع كل هذه الأدلة إقناع هذه الزمرة، وإنارة الحقيقة لهم؟ !

هذا عن والد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وأما أمه فهي فاطمة بنت أسد بن هاشم وهي من السابقات إلى الإسلام والإيمان برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد كانت قبل ذلك تتبع ملة إبراهيم.

إنها المرأة الطاهرة التي لجأت – عند المخاض – إلى المسجد الحرام، وألصقت نفسها بجدار الكعبة وأخذت تقول يا رب إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم وإنه بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت و(بحق) المولود الذي في بطني إلا ما يسرت علي ولادتي. فدخلت فاطمة بنت أسد الكعبة ووضعت عليا هناك[1].

---

١ كشف الغمة/١ ٦٠.

تلك فضيلة نقلها قاطبة المؤرخين والمحدثين الشيعة، وكذا علماء الأنساب في مصنفاتهم، كما نقلها ثلة كبيرة من علماء السنة وصرحوا بها في كتبهم، واعتبروها حادثة فريدة، وواقعة عظيمة لم يسبق لها مثيل[١].

وقال شهاب الدين أبو الثناء السيد محمود الآلوسي وكون الأمير كرم الله وجهه، ولد في البيت، أمر مشهور في الدنيا ولم يشتهر وضع غيره كرم الله وجهه، كما اشتهر وضعه[٢].

٢. الإمام علي عليه السلام وتربيته في حجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وأما التربية الروحية والفكرية والأخلاقية فقد تلقاها علي عليه السلام في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي الضلع الثاني من أضلاع شخصيته الثلاثة.

ولو أننا قسمنا مجموعة سنوات عمر الإمام عليه السلام إلى خمسة أقسام لوجدنا القسم الأول من هذه الأقسام الخمسة من حياته الشريفة، يؤلف السنوات التي قضاها عليه السلام قبل بعثة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

وإن هذا القسم من حياته الشريفة لا يتجاوز عشر سنوات، لأن اللحظة التي ولد فيها علي عليه السلام لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد تجاوز الثلاثين من عمره المبارك، هذا مع العلم بأنه صلى الله عليه وآله وسلم قد بعث بالرسالة في سن الأربعين. وعلى هذا الأساس لم يكن الإمام علي عليه السلام قد تجاوز السنة العاشرة من عمره يوم بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة، وتوج بالنبوة.

---

١ مروج الذهب ٣٤٩/٢، شرح الشفاء للقاضي عياض ١٥١/١ وغيرهما، وقد أفرد العلامة الأردوبادي رسالة في هذه المنقبة وسماها علي وليد الكعبة.

٢ الغدير ٢٢/٦.

إن أبرز الحوادث في حياة الإمام علي عليه السلام هو تكوين الشخصية العلوية، وتحقق الضلع الثاني من المثلث الذي أسلفناه بواسطة النبي الأكرم، وفي ظل ما أعطاه صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام من أخلاق وأفكار، لأن هذا القسم في حياة كل إنسان وهذه الفترة من عمره هي من اللحظات الخطيرة، والقيمة جدا، فشخصية الطفل في هذه الفترة تشبه صفحة بيضاء نقية تقبل كل لون، وهي مستعدة لأن ينطبع عليها كل صورة مهما كانت، وهذه الفترة من العمر تعتبر – بالتالي – خير فرصة لأن ينمي المربون والمعلمون فيها كلما أودعت يد الخالق في كيان الطفل من سجايا طيبة وصفات كريمة، وفضائل أخلاقية نبيلة، ويوقفوا الطفل – عن طريق التربية – على القيم الأخلاقية والقواعد الإنسانية وطريقة الحياة السعيدة، وتحقيقا لهذا الهدف السامي تولى النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه تربية علي عليه السلام بعد ولادته، وذلك عندما أتت فاطمة بنت أسد بوليدها علي عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلقيت من رسول الله حبا شديدا لعلي عليه السلام حتى أنه قال لها اجعلي مهده بقرب فراشي وكان صلى الله عليه وآله وسلم يطهر عليا في وقت غسله، ويوجره اللبن عند شربه، ويحرك مهده عند نومه، ويناغيه في يقظته، ويلاحظه ويقول هذا أخي، ووليي، وناصري، وصفيي، وذخري، وكهفي، وصهري، ووصيي، وزوج كريمتي، وأميني على وصيتي، وخليفتي[1].

ولقد كانت الغاية من هذه العناية هي أن يتم توفير الضلع الثاني في مثلث الشخصية (وهو التربية) بواسطته صلى الله عليه وآله وسلم، وأن لا يكون لأحد غير النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل في تكوين الشخصية العلوية الكريمة.

---

١ كشف الغمة ١/٦٠.

وقد ذكر الإمام علي عليه السلام ما أسداه الرسول الكريم إليه وما قام به تجاهه في تلكم الفترة إذ قال وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد، يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشئ ثم يلقمنيه[1].

النبي يأخذ عليا إلى بيته

وإذ كان الله تعالى يريد لولي دينه أن ينشأ نشأة صالحة وأن يأخذ النبي عليا إلى بيته وأن يقع منذ نعومة أظفاره تحت تربية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، ألفت نظر نبيه إلى ذلك.

قد ذكر المؤرخون أنه أصابت مكة – ذات سنة – أزمة مهلكة وسنة مجدبة منهكة، وكان أبو طالب – رضي الله عنه – ذا مال يسير وعيال كثير فأصابه ما أصاب قريشا من العدم والضائقة والجهد والفاقة، فعند ذلك دعا رسول الله عمه العباس إلى أن يتكفل كل واحد منهما واحدا من أبناء أبي طالب وكان العباس ذا مال وثروة وجدة فوافقه العباس على ذلك، أخذ النبي عليا، وأخذ العباس جعفرا وتكفل أمره، وتولى شؤونه[2].

هكذا وللمرة الأخرى أصبح علي عليه السلام في حوزة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصورة كاملة، واستطاع بهذه المرافقة الكاملة أن يقتطف من ثمار أخلاقه العالية وسجاياه النبيلة، الشئ الكثير، وأن يصل تحت رعاية النبي وعنايته وبتوجيهه وقيادته، إلى أعلى ذروة من ذرى الكمال الروحي. وهذا هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يشير إلى تلك الأيام القيمة وإلى تلك الرعاية النبوية المباركة المستمرة إذ يقول ولقد كنت

---

١ نهج البلاغة، الخطبة (١٩٢) المسماة بالخطبة القاصعة.

٢ بحار الأنوار ٤٤/٣٥، وسيرة ابن هشام ٢٤٦/١.

أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي كل يوم من أخلاقه علما ويأمرني بالاقتداء به[١].

علي عليه السلام في غار حراء

كان النبي – حتى قبل أن يبعث بالرسالة والنبوة – يعتكف ويتعبد في غار حراء شهرا من كل سنة، فإذا انقضى الشهر وقضى جواره من حراء انحدر من الجبل، وتوجه إلى المسجد الحرام رأسا وطاف بالبيت سبعا، ثم عاد إلى منزله.

وهنا يطرح سؤال ماذا كان شأن علي عليه السلام في تلك الأيام التي كان يتعبد ويعتكف فيها رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك المكان مع ما عرفناه من حب الرسول الأكرم له؟ هل كان يأخذ صلى الله عليه وآله عليا معه إلى ذلك المكان العجيب أم كان يتركه ويفارقه؟ إن القرائن الكثيرة تدل على أن النبي صلى الله عليه وآله منذ أن أخذ عليا لم يفارقه يوما أبدا، فهاهم المؤرخون يقولون كان علي عليه السلام يرافق النبي صلى الله عليه وآله دائما ولا يفارقه أبدا، حتى أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا خرج إلى الصحراء أو الجبل أخذ عليا معه[٢].

يقول ابن أبي الحديد وقد ذكر علي عليه السلام هذا الأمر في الخطبة القاصعة إذ قال ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري[٣].

إن هذه العبارة وإن كانت محتملة في مرافقته للنبي في حراء بعد البعثة الشريفة إلا أن القرائن السابقة وكون مجاورة النبي بحراء كانت في الأغلب قبل

---

١ نهج البلاغة – شرح عبده – ١٨٢/٢.

٢ ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة ٢٠٨/١٣.

٣ نهج البلاغة الخطبة القاصعة الرقم ١٨٧.

البعثة، تؤيد أن هذه الجملة، يمكن أن تكون إشارة إلى صحبة علي عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في حراء قبل البعثة.

إن طهارة النفسية العلوية، ونقاوة الروح التي كان علي عليه السلام يتحلى بها، والتربية المستمرة التي كان يحظى بها في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كل ذلك كان سببا في أن يتصف علي عليه السلام – ومنذ نعومة أظفاره – ببصيرة نفاذة وقلب مستنير، وأذن سميعة واعية تمكنه من أن يرى أشياء ويسمع أمواجا تخفى على الناس العاديين، ويتعذر عليهم سماعها ورؤيتها، كما يصرح نفسه بذلك إذ يقول أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة[1].

يقول الإمام الصادق عليه السلام كان علي عليه السلام يرى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل الرسالة الضوء، ويسمع الصوت.

وقد قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم لولا أني خاتم الأنبياء لكنت شريكا في النبوة، فإن لا تكن نبيا فإنك وصي نبي ووارثه، بل أنت سيد الأوصياء وإمام الأتقياء[2].

ويقول الإمام علي عليه السلام لقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله وسلم فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال هذا الشيطان أيس من عبادته، ثم قال له إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي ولكنك وزير[3].

هذا هو الرافد الثاني الذي كان يرفد الشخصية العلوية بالأخلاق والسجايا الرفيعة.

---

١ المصدر نفسه.

٢ ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة ٣١٠/١٣.

٣ نهج البلاغة الخطبة القاصعة الرقم ١٨٧.

٣. البيئة الرسالية وشخصية الإمام

ولو أضفنا ذينك الأمرين (أي ما اكتسبه من والديه الطاهرين بالوراثة، وما تلقاه في حجر النبي) إلى ما أخذه من بيئة الرسالة والإسلام من أفكار وآراء رفيعة، وتأثر عنها أدركنا عظمة الشخصية العلوية من هذا الجانب.

ومن هنا يحظى الإمام علي عليه السلام بمكانة مرموقة لدى الجميع، مسلمين وغير مسلمين، لما كان يتمتع به من شخصية سامقة، وخصوصيات خاصة يتميز بها.

وهذا هو ما دفع بالبعيد والقريب إلى أن يصف عليا بما لم يوصف به أحد من البشر، ويخصه بنعوت، حرم منها غيره، فهذا الدكتور شبلي شميل المتوفى سنة ١٣٣٥ هـ ١٩١٧ م وهو من كبار الماديين في القرن الحاضر يقول الإمام علي بن أبي طالب عظيم العظماء نسخة مفردة لم ير لها الشرق ولا الغرب صورة طبق الأصل لا قديما ولا حديثا[١].

قال عمر بن الخطاب عقمت النساء أن يلدن مثل علي بن أبي طالب[٢].

ويقول جورج جرداق الكاتب المسيحي اللبناني المعروف وماذا عليك يا دنيا لو حشدت قواك فأعطيت في كل زمن عليا بعقله وقلبه ولسانه وذي فقاره[٣].

هذه الأبعاد التي ألمحنا إليها هي الأبعاد الطبيعية للشخصية العلوية.

---

١ الإمام علي صوت العدالة الإنسانية ٣٧/١.

٢ الغدير ٣٨/٦ ط النجف.

٣ الإمام علي صوت العدالة الإنسانية ٤٩/١.

البعد المعنوي لشخصية الإمام علي عليه السلام

غير أن أبعاد شخصية الإمام علي عليه السلام لا تنحصر في هذه الأبعاد الثلاثة، فإن لأولياء الله سبحانه بعدا رابعا، داخلا في هوية ذاتهم، وحقيقة شخصيتهم، وهذا البعد هو الذي ميزهم عن سائر الشخصيات وأضفى عليهم بريقا خاصا ولمعانا عظيما.

وهذا البعد هو البعد المعنوي الذي ميز هذه الصفوة عن الناس، وجعلهم نخبة ممتازة وثلة مختارة من بين الناس، وهو كونهم رسل الله وأنبياءه، أو خلفاءه وأوصياء أنبيائه.

نرى أنه سبحانه يأمر رسوله أن يصف نفسه بقوله قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا[1].

فقوله بشرا إشارة إلى الأبعاد البشرية الموجودة في كل إنسان طبيعي، وإن كانوا يختلفون فيها فيما بينهم كمالا ولمعانا.

وقوله رسولا إشارة إلى ذلك البعد المعنوي الذي ميزه صلى الله عليه وآله وسلم عن الناس وجعله معلما وقدوة للبشر، فلأجل ذلك يقف المرء في تحديد الشخصيات الإلهية على شخصية مركبة من بعدين طبيعي وإلهي ولا يقدر على توصيفها إلا بنفس ما وصفهم به الله سبحانه مثل قوله في شأن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ

---

١ الإسراء ٩٣.

﴿الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[١] وقد نزلت في حق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام آيات، ووردت روايات. كيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب عليه السلام [٢].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربي فليوال عليا بعدي، وليوال وليه، وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنهم عترتي خلقوا من طينتي، رزقوا فهما وعلما، وويل للمكذبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي[٣].

وقال الإمام أحمد بن حنبل ما لأحد من الصحابة من الفضائل بالأسانيد الصحاح مثل ما لعلي رضي الله عنه [٤].

وقال الإمام الفخر الرازي من اتخذ عليا إماما لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقى في دينه ونفسه[٥].

وقال أيضا من اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللهم أدر الحق مع علي حيث دار[٦].

---

١ الأعراف ٥٧.

٢ أخرجه الحافظ الخطيب البغدادي في تاريخه ٤١٠/٤.

٣ أخرجه الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء ٨٦/١.

٤ مناقب أحمد لابن الجوزي الحنبلي ١٦٣.

٥ تفسير مفاتيح الغيب ٢٠٥/١.

٦ المصدر نفسه ٢٠٤.

إسلامه:

أسلم علي عليه السلام وهو صغير، بعد أن عرض النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الإسلام على أقاربه من بني هاشم، تنفيذا لما جاء في القرآن[١].

وقد ورد في بعض المصادر[٢] أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد جمع أهله وأقاربه على وليمة، وعرض عليهم الإسلام، وقال أن من يؤمن به سيكون وليه ووصيه وخليفته من بعده، فلم يجبه أحد إلا عليا.

سمي هذا الحديث "حديث يوم الدار" أو "إنذار يوم الدار" أو "حديث دعوة العشيرة"، وقد ذكر في العديد من الكتب بروايات مختلفة منها ما أورده الطبري في تاريخه[٣]:

قال الامام علي بن أبي طالب عليه السلام لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وأنذر عشيرتك الأقربين"، دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: يا عليُّ، إنّ الله أَمَرَنِي أنْ أُنْذِرْ عَشِيرَتِي الأَقْرَبِ، فضقت بذلك ذرعا، وعرفت أنى متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمتُّ حتى جاء جبرئيل فقال: يا محمد، إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك، فاصنع لنا صاعا من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عسا من لبن؛ ثم اجمع لي بنى عبد المطلب حتى أكلمهم، وأبلغهم ما أمرت به، ففعلت ما أمرني به. ثم دعوتهم له؛ وهم يومئذ أربعون رجلا، يزيدون رجلا أو ينقصونه؛ فيهم أعمامه:أبو طالب

---

١ ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ سورة الشعراء ٢١٤.

٢ ترجمة الامام علي عليه السلام من تاريخ دمشق ٦٢/١-٨٨ ، الكامل في التاريخ ٥٨٤/١، تاريخ اليعقوبي ٢٧/٢.

٣ تاريخ اليعقوبي٢١٦/٢.

وحمزة والعباس وأبو لهب؛ فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم، فجئت به، فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم حذية من اللحم، فشقها بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي الصفحة.

ثم قال: خذوا بسم الله، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة وما أرى إلا موضع أيديهم، وايم الله الذي نفس علي بيده؛ وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم. ثم قال: اسق القوم، فجئتهم بذلك العس، فشربوا منه حتى رووا منه جميعا، وايم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام، فقال: لهم سحركم صاحبكم !

فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: الغد يا علي؛ إن هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول، فتفرق القوم قبل أن أكلمهم، فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت، ثم اجمعهم لي.

قال: ففعلت، ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته لهم، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتى مالهم بشيء حاجة. ثم قال: اسقهم، فجئتهم بذلك العس، فشربوا حتى رووا منه جميعا، ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا بنى عبد المطلب؛ إنى والله ما أعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به؛ إنى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيتي وخلفتي فيكم؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعا، وقلت: وإنى لأحدثهم سنا، وأرمصهم عينا، وأعظمهم بطنا، وأحمشهم ساقا؛ أنا يا نبي الله، أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي، ثم قال: إن

هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا. قال: فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع.[١][٢].

وفي رواية عن أنس بن مالك: (بعث النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين، وأسلم علي يوم الثلاثاء)[٣]. وبهذا أصبح الإمام علي عليه السلام أول من أسلم.

فالروايات تشير ألى أن عمره حين أسلم يتراوح تسعة أعوام كان الإمام علي عليه السلام أول من صلى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وزوجته خديجة عليها السلام بعد حياته في مكة[٤].

لم يهاجر الإمام علي عليه السلام إلى الحبشة في الهجرة الأولى حين سمح رسول الإسلام لبعض من آمن به بالهجرة إلى هناك هرباً من اضطهاد قريش. وقاسى معه مقاطعة قريش لبني هاشم وحصارهم في شعب أبي طالب[٥]. كما رافق رسول الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم في ذهابه للطائف لنشر دعوته هناك بعد أن اشتد ايذاء قريش له. مكث الإمام علي عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكة حتى هاجر إلى المدينة.

---

١ تاريخ الرسل والملوك٢/٢١٦.

٢ كتاب الحميري وشعره في الغدير للعلامة الأميني/٦٦ – ٦٧.

٣ اسد الغابة ١٠٢/٤، ينابيع المودة ٦٨/٢.

٤ تاريخ اليعقوبي ٢٣/٢، مستدرك الحاكم ٥٠٠/٣.

٥ تاريخ اليعقوبي ٣١/٢، الكامل في التاريخ ٦٤/١، البداية والنهاية ٨٤/٣.

ليلة الهجرة النبوية

في اليوم الذي عزم فيه الرسول على الهجرة إلى يثرب، اجتمع سادات قريش في دار الندوة واتفقوا على قتله، فجمعوا من كل قبيلة شاب قوي وأمروهم بانتظاره أمام باب بيته ليضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه بين القبائل.

كما ذكره كافة المسلمين جاء جبريل إلى رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحذره من تآمر القريشيين لقتله، فطلب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أن يبيت في فراشه بدلا منه ويتغطى ببرده الأخضر ليظن الناس أن النائم هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبهذا غطي على هجرة النبي وأحبط مؤامرة أهل قريش. وفي بعض الروايات أنه سأل أصحابه من يبيت على فراشه فلم يجبه إلا عليا ثلاثاً ويعتبر الإمام علي عليه السلام أول فدائي في الإسلام بموقفه في تلك الليلة التي عرفت فيما بعد "بليلة المبيت"؛ ويروى المفسرين في تفسير الآية القرآنية: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللهِ** ﴾[1] أنها نزلت في الامام علي بن أبي طالب عليه السلام[2] حين نام في فراش الرسول. كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أمره أن يؤدي الأمانات إلى أهلها ففعل، حيث كان أهل قريش يضعون أماناتهم عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وكانوا في مكة يعلمون أن عليا يتبع محمدا صلى الله عليه وآله وسلم أينما ذهب، لذا فإن بقاءه في مكة بمثابة تمويه لجعل الناس يشكون في هجرة النبي لاعتقادهم بأنه لو هاجر لأخذ عليا معه.

---

١ سورة البقرة ٥٢.

٢ شواهد التنزيل ١٢٣/١، تفسير القرطبي ٢١/٣ ، صفوة التفاسير ٥٠١/١ ، تاريخ اليعقوبي ٣٩/٢، اسد الغابة ١١٣/٤.

بقي الإمام علي عليه السلام في مكة ثلاثة أيام حتى وصلته رسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عبر رسوله أبي واقد الليثي يأمره فيها بالهجرة للمدينة[١].

حياته في المدينة وهجرته

خرج الإمام علي عليه السلام للهجرة إلى المدينة وهو في الثانية والعشرين من عمره، وحسب رواية ابن الأثير في أسد الغابة فقد خرج الإمام علي عليه السلام وحيدا يمشي الليل ويكمن النهار. بينما تذكر جل المصادر أنه اصطحب ركبا من النساء هن: أمه فاطمة بنت أسد وفاطمة بنت محمد عليها السلام وفاطمة بنت الزبير وزاد البعض فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب أو ما سمي بركب الفواطم. ولم تمض غير أيام قليلة حتى وصل الإمام علي عليه السلام إلى قباء حيث انتظره رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ورفض الرحيل قبل أن يصل الإمام علي عليه السلام الذي كان قد أنهكه السفر وتورمت قدماه حتى نزف منهما الدم[٢]. وبعد وصوله بيومين نزل الإمام علي عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة. حين وصل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة قام بما عرف بمؤاخاة المهاجرين والأنصار وآخى بين الإمام علي عليه السلام وبين نفسه وقال له: (أنت أخي في الدنيا والآخرة)[٣].

زواجه

---

١ سيرة ابن هشام ٣٠٢/٢–٣١٢ ، السيرة الحلبية ١٨٩/٢–٢١٥، محمد الصادق إبراهيم عرجون/محمد رسول الله ٤٩٥/٢ – ٥٢٠ ، ابن كثير/السيرة النبوية ٢٢٦/٢–٢٥٦ ، محمد أبو شهبة/السيرة النبوية ٤٩٠/٢–٤٩٩ ، محمد أبو زهرة/خاتم النبيين ٥١٠/١ – ٥١٩ ، الندوي/السيرة النبوية ص ١٤١–١٤٨، محمد رضا/محمد رسول الله ١٢٧–١٣٠ .

٢ اسد الغابة ١٠٥/٤، تاريخ اليعقوبي ٤١/٢، الكامل في التاريخ ٧/٢.

٣ سيرة ابن هشام ١٠٩/٢، الروض الانف للسهيلي ٢٤٤/٤، عيون الاثر ٢٦٥/١.

في شهر صفر من السنة الثانية من الهجرة زوجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابنته فاطمة عليها السلام ولم يتزوج بأخرى في حياتها، وقد روي أن تزويج فاطمة عليها السلام من علي عليه السلام كان بأمر من الله، حيث توالى الصحابة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم لخطبتها إلا أنه ردهم جميعا حتى أتى الأمر بتزويج فاطمة عليها السلام من علي عليه السلام، فأصدقها الإمام علي عليه السلام درعه الحطمية ويقال أنه باع بعيرا له وأصدقها ثمنه الذي بلغ ٤٨٠ درهما على أغلب الأقوال[١]. وأنجب منها الحسن والحسين في السنتين الثالثة والرابعة من الهجرة على التوالي، كما أنجب زينب بنت علي وأم كلثوم بنت علي والمحسن بن علي، حيث يروى أنه قتل وهو جنين يوم حرق الدار.

وهذه الدار التي اراد ان يحرقوها[٢] كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقف عليها ويمر بها لايقاظ علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام لأداء صلاة الفجر ويتلو اية التطهير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تطهيرا﴾ [٣][٤].

أعماله في عهد النبي

كان عليا موضع ثقة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فكان أحد كتاب القرآن أو كتاب الوحي الذين يدونون القرآن في حياة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وكان أحد سفرائه الذين يحملون الرسائل ويدعون القبائل للإسلام، واستشاره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الكثير من الأمور مثلما استشاره في ما يعرف بحادثة الإفك. شهد بيعة الرضوان

---

١ الطبقات الكبرى لابن سعد ١٦/٨، اسد الغابة ٢٣٩/٧.

٢ الامامة والسياسة ٣٠/١، المختصر في اخبار البشر ١٥٦/١، الملل والنحل ٥٦/١.

٣ سورة الأحزاب ٣٣.

٤ كتاب المصنف لابن ابي شيبة ٤٣٢/٧، كتاب الاموال لابي القاسم بن سلام ١٧٤ ، الوافي بالوفيات ٣١١/١٧.

وأمره النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينها بتدوين وثيقة صلح الحديبية وأشهده عليه. يروى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث خالد بن الوليد إلى اليمن ليدعوهم فبقي هناك ستة أشهر فلم يجبه أحد فبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالإمام علي عليه السلام إلى اليمن فأسلمت على يديه قبيلة همدان كلها، وتتابع بعدها أهل اليمن في الدخول إلى الإسلام؛ ولم تكن هذه المرة الأخيرة التي يذهب فيها الإمام علي عليه السلام إلى اليمن حيث ولاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قضاء اليمن لما عرف عنه من عدل وحكمة في القضاء[1]، فنصحه ودعا له، ثم أرسله إلى هناك سنة ٨ هـ ومكث به عام واحد. كما ساهم في فض النزاعات وتسوية الصراعات بين بعض القبائل. ورد في الكامل أنه عند فتح مكة أراد سعد بن عبادة دخول مكة مقاتلاً عكس ما أمر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث أنه أراد دخول مكة بلا قتال، فحين سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك أرسل الإمام علي عليه السلام خلف سعد فلحقه وأخذ الراية منه ودخل بها مكة، بعدها أمره النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكسر الأصنام التي كانت حول الكعبة.

غزواته مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[2]

شهد الامام علي عليه السلام جميع المعارك معه إلا غزوة تبوك خلفه فيها على المدينة وعلى عياله بعده وقال له: " أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي "، وسلم له الراية في الكثير من المعارك. عرف الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ببراعته وقوته في القتال، وقد تجلى هذا في غزوات الرسول؛ ففي غزوة بدر، هزم الإمام علي عليه السلام الوليد بن عتبة، وقتل ما يزيد عن ٢٠ من المشركين. وغزوة أحد قتل طلحة بن عبد العزى حامل لواء قريش في المعركة، وأرسله النبي صلى الله عليه وآله وسلم

---

١ مسند احمد ١٢٦/١، الارشاد ١٦٤/١.

٢ طبقات ابن سعد ١٢/٢، ارشاد المفيد ٦٨/١، الكامل في التاريخ ٢٢/٢، اعلام الورى ٣٧٩/١.

إلى فدك فأخذها في سنة ٦ هـ. وفي غزوة الأحزاب قتل عمرو بن ود العامري أحد فرسان العرب وفي غزوة خيبر، هزم فارس اليهود مرحب، وبعد أن عجز جيش المسلمين مرتين عن اقتحام حصن اليهود، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (لأدفعن الراية إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ويفتح عليه) فأعطاها للإمام علي عليه السلام ليقود الجيش، وفتح الحصن وتحقق النصر للمسلمين. وقيل إنه اقتحم حصن خيبر متخذاً الباب درعا له لشدة قوته في القتال. وكان ممن ثبت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة حنين. وكان للإمام علي عليه السلام سيف شهير أعطاه له النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة أحد عرف باسم ذو الفقار كما أهداه النبي صلى الله عليه وآله وسلم درعا عرفت بالحطمية ويقال أنها سميت بهذا الاسم لكثرة السيوف التي تحطمت عليها.

في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة في عام ١٠ للهجرة بعد أن أتم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مناسك حجة الوداع وخرج المسلمون عائدين لديارهم، توقف عند مكان يقال له غدير خم وخطب في المسلمين خطبة اختلفت الروايات حولها ولكن يجمع المؤرخون أنه جاء فيها (من كنت مولاه فعلي مولاه). تقول المصادر السنية والشيعية أن في هذا اليوم نزلت الآية ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾[1] ويفسرونها بأن إتمام الدين هو الإيمان بالإمام والولي علي بن أبي طالب عليه السلام من بعد الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وتقول المصادر أن جميع المسلمين والمسلمات قد بايعوه في هذا اليوم على السمع والطاعة فأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكتف بالنص على خليفته في بدء رسالته، بل صرح في مناسبات شتى في

١ سورة المائدة/الآية ٣.

السفر والحضر، بخلافة الإمام علي عليه السلام من بعده، ولكن لا يبلغ شئ من ذلك في الأهمية والظهور والصراحة والحسم ما بلغه حديث الغدير.

قصة الغدير[١] لما انتهت مراسم الحج، وتعلم المسلمون مناسك الحج من رسول الله، قرر رسول الله صلى الله عليه وآله الرحيل عن مكة، والعودة إلى المدينة، فأصدر أمرا بذلك، ولما بلغ موكب الحجيج العظيم إلى منطقة رابغ[٢] التي تبعد عن الجحفة[٣] بثلاثة أميال، نزل أمين الوحي جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله بمنطقة تدعى غدير خم، وخاطبه بالآية التالية ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾[٤].

إن لسان الآية وظاهرها يكشف عن أن الله تعالى ألقى على عاتق النبي صلى الله عليه وآله مسؤولية القيام بمهمة خطيرة، وأي أمر أكثر خطورة من أن ينصب عليا عليه السلام لمقام الخلافة من بعده على مرأى ومسمع من مائة ألف شاهد؟! من هنا أصدر رسول الله صلى الله عليه وآله أمره بالتوقف، فتوقف طلائع ذلك الموكب العظيم، والتحق بهم من تأخر.

---

١ مصادر حديث الغدير/

– مسند احمد ٣٧٢/٤، ٢٩٨١/٤، ١١٨/١–١١٩ و ٢٨١/٤

– ابن كثير ٢١٢/٥، ٣٨٦/٧. – مستدرك الحاكم ١٠٩/٣–١١٠.

– سنن ابن ماجة ٤٣/١ ح١١٦. – الحاكم الحسكاني ج١ ص٢٥١.

٢ رابغ تقع الآن على الطريق بين مكة والمدينة.

٣ من مواقيت الإحرام وتنشعب منها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين.

٤ المائدة ٦٧.

لقد كان الوقت وقت الظهيرة، وكان المناخ حارا إلى درجة كبيرة جدا، وكان الشخص يضع قسما من عباءته فوق رأسه والقسم الآخر منها تحت قدميه، وصنع للنبي صلى الله عليه وآله مظلة، وكانت عبارة عن عباءة ألقيت على أغصان شجرة (سمرة)، وصلى رسول الله صلى الله عليه وآله بالحاضرين الظهر جماعة وفيما كان الناس قد أحاطوا به صعد صلى الله عليه وآله على منبر أعد من أحداج الإبل وأقتابها، وخطب في الناس رافعا صوته، وهو يقول الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، الذي لا هادي لمن أضل، ولا مضل لمن هدى، وأشهد أن لا إله إلا هو، وأن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد، أيها الناس إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهدت، فجزاك الله خيرا.

قال صلى الله عليه وآله ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن جنته حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور؟ قالوا بلى نشهد بذلك. قال صلى الله عليه وآله اللهم اشهد.

ثم قال صلى الله عليه وآله وإني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا. فنادى مناد بأبي أنت وأمي يا رسول الله، وما الثقلان؟ قال صلى الله عليه وآله كتاب الله سبب طرف بيد الله، وطرف بأيديكم، فتمسكوا به، والآخر عترتي، وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا.

وهنا أخذ بيد الإمام علي عليه السلام ورفعها، حتى رؤي بياض آباطهما، وعرفه الناس أجمعون ثم قال أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا الله ورسوله أعلم.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعلي مولاه. اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأحب من أحبه، وابغض من بغضه، وأدر الحق معه حيث دار.

فلما نزل من المنبر، استجازه حسان بن ثابت شاعر عهد الرسالة في أن يفرغ ما نزل به الوحي في قالب الشعر، فأجازه الرسول، فقام وأنشد:

يناديهم يوم الغدير نبيهم	بخم وأكرم بالنبي مناديا
يقول فمن مولاكم ووليكم	فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت ولينا	ولم تر منا في الولاية عاصيا
فقال له قم يا علي فإنني	رضيتك من بعدي إماما وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه	فكونوا له أنصار صدق وماليا
هناك دعا اللهم ! وال وليه	وكن للذي عادى عليا معاديا